*تابع الإسرائيليات التي وردت في قصة يوسف # (2)*

*بحث فى الدخيل فى التفسير*

*إعداد أ/ شيماء عبد المجيد محمد زهران*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*shaimaa.abdelmajeed@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في تابع الإسرائيليات التي وردت في قصة يوسف #**

**الكلمات المفتاحية : الإسرائيليات ، المفسرون ، الآيات**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن تابع الإسرائيليات التي وردت في قصة يوسف #**

1. **عنوان المقال**

**ننتقل بعد ذلك إلى التفسير الصحيح لهذه الآية التي ذل فيها كثيرون؛ وهى قوله:** {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ} **[يوسف: 24].**

**يقول شيخنا الشيخ أبو شهبة والعلماء ذوي البصيرة: والصحيح في تفسير قوله -تعالى-:**{ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ} **أنّ الكلام تم عند قوله -تعالى-:**{ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ} **وليس من شك في أن همها كان بقصد الفاحشة** {ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ} **الكلام من قبيل التقديم والتأخير، والتقدير: "ولولا أن رَأَى برْهان ربه لهم بها" وقوله -تعالى-:** {ﭰ ﭱ} **هذا جواب لولا مقدم عليه، ومعروف في اللغة العربية أنّ "لول" حرف امتناع لوجود؛ أي: امتناع الجواب لوجود الشرط؛ فامتنع الهم لوجود البرهان؛ أي: فيكون الهم ممتنعا لوجود البرهان الذي ركزه الله في فطرته، والمقدم إما الجواب أو دليله؛ على الخلاف في هذا بين النحويين.**

**لكن هنا نسأل: ما المراد بالبرهان الذي رآه؟ المراد هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنا، وهو شيء مركوز في فطر الأنبياء، ومعرفه ذلك عندهم وصل إلى عين اليقين، وهو ما نعبر عنه بالعصمة؛ فهذا البرهان هو الفطرة النقية والقلب السليم والإخلاص الذي ركزه رب العالمين في قلوب الأنبياء، والعصمة هي التي تحولُ بين الأنبياء والمرسلين وبين وقوعهم في المعصية.**

**ويرحم الله الإمام جعفر بن محمد الصادق { حيث قال: البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يُسخط الله  وهذا هو القول الجزل الذي يوافق ما دل عليه العقل من عصمة الأنبياء، ويدعو إليه السابق واللاحق.**

**وأما كون جواب "لول" لا يجوز أن يتقدم عليها؛ فهذا أمر ليس ذا خطر حتى نعدل عن هذا الرأي الصواب إلى التفسيرات الأخرى الباطلة لهمّ يوسف # والقرآن هو أصل اللغة؛ فورود أي أسلوب في القرآن يكفي في كونه أسلوبًا عربيًّا فصيحًا، وفي تأصيل أي قاعدة من القواعد النحوية؛ أي: إن كلمات القرآن ولغة القرآن يُقعّد منها، ولا يُقعد عليها؛ فلا يجوزُ لأجل الأخذ بقاعدة نحوية أن نقع في محظورٍ لا يليق بالأنبياء كهذا، وخاصة أن قواعد النحو قواعد أغلبية وليست مجمع عليها من جميع العرب.**

**وقد قال الإمام الألوسي في تفسيره في الرد على المُبرد في تشنيعه على قراءة حمزة -هذا في موضع آخر- وحمزة أحد القراء السبعة فله قراءة في قوله: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ" [النساء: 1] بجر لفظ "الأرحام" عطفًا على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر، وحمزة أحد القراء السبعة الذين قالوا أساطين الدين: إنّ قراءتهم متواترة عن رسول الله  ومع هذا لم يقرأ به وحده، بل قرأ به جماعه من غير السبعة؛ كابن مسعود وابن عباس والنخعي والحسن البصري وقتادة ومجاهد وغيرهم كما نقله ابن يعيش.**

**فالتشنيع على هذا الإمام في غاية الشناعة، ونهاية الجسارة والبشاعة، وربما يُخشى منه الكفر، وما ذكر من امتناع العطف على الضمير المجرور هو مذهب البصريين، ولسنا متعبدين باتباعهم، وقد أطال أبو حيان في (البحر) الكلام في الرد عليهم، وادعى أن ما ذهبوا إليه غير صحيح، بل الصحيح ما ذهب إليه الكوفيين من الجواز.**

**وورد ذلك في (لسان العرب) نثرًا ونظمًا وإلى ذلك ذهب العلامة ابن مالك.**

**وقيل: إن ما حصل من هَمّ يوسف كان خَطرةً وحديث نفس بمقتضى الفطرة البشرية، ولم يستقر ولم يظهر له أثر؛ قال البغوي في تفسيره: قال بعض أهل الحقائق: الهمُ همان؛ همُ ثابتً: وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به. وهمُ عارضً: وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف # والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم به ويعمل، هكذا قال البغوي.**

**وقيل: همت به هم شهوة وقصد للفاحشة، وهم هو بضربه، يقول شيخنا الشيخ أبو شهبة: ولا أدري كيف يتفق هذا القول وقوله -تعالي-:** {ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ}.

**مما أذكر أيضًا أن القول بأن هَمّ يوسف كان بضربها ودفعها قال به كثيرٌ من المفسرين، وسواء كان يتوافق ولا يتوافق؛ ففيه تنزيه لساحته، لكن الحق ما سبق إليه القول؛ وهو أن جواب "لول" فيه تقديم وتأخير فـلولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فيكون الهمُّ ممتنعًا ولم يقع منه لوجود البرهان، وهو الذي ركزه الله في فطرة الأنبياء والمرسلين من نقاء القلب والعصمة الواجبة لهم.**

**فنقول: القول الجزل هو هذا الرأي الذي نستريح إليه، والسر في إظهاره في هذا الأسلوب والله أعلم تصوير المشهد المثير المغري العرم الذي هيئته امرأة العزيز لنبي الله يوسف، وأنه لولا عصمة الله له، وفطرته النبوية الذكية لكانت الاستجابة له، والهَمُّ بِهَا أمرًا مُحققًا، وفى هذا تكريمُ ليوسف وشهادة له بالعفة البالغة والطهارة الفائقة.**

**ننتقل بعد ذلك إلى ما ورد في لُبث يوسف # في السجن ولعلها المشهد الأخير الذي نروي فيه ما ساقه المفسرون.**

**فمن الإسرائيليات ما يذكره بعضُ المُفَسّرين في مدة سجن يوسف -علية السلام- وفي سبب لُبثه ومُكثه في السجن بضع سنين، وذلك عند تفسير قوله -تعالى-:** {ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ} **[ يوسف: 42 ] فقد ذكر ابن جرير والثعلبي والبغوي وغيرهم أقوالًا كثيرة في هذا، فقد قال وهب بن مُنبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، وتُرك يوسف في السجن سبع سنين، وعذب "بختنصر" فحول في السباع سبع سنين.**

**والحقيقة يعلق الشيخ أبو شهبة لا أدري ما المناسبة بين نبي الله وبين "بختنصر" الذي أذل اليهود وسباهم.**

**على كل حال؛ وقال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقي: اذكرني عند ربك، قيل له: يا يوسف، اتخذت من دوني وكيلًا لأطيلنّ حبسك؛ فبكى يوسف، وقال: يا ربّ، أنسى قلبي كثرة البلوى؛ فقلت كلمة ولن أعود.**

**وقال الحسن البصري: دخل جبريل # على يوسف في السجن، فلما رآه يوسف عرفه، فقال له: يا أخ المنذرين، أني أراك بين الخاطئين، فقال له جبريل: يا طاهر، يا بن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول لك: أما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين فوعزتي وجلالي لألبثنك في السجن بضع سنين، فقال يوسف: وهو في ذلك عني راضٍ؟ قال: نعم، قال: إذًا لا أبالي.**

**وقال كعب الأحبار: قال جبريل ليوسف: إن الله -تعالى- يقول: من خلقك؟ قال: الله ، قال: فمن حببك إلى أبيك؟ قال: الله، قال: فمن نجاك من كرب البئر، قال: الله، قال: فمن علمك تأويل الرؤي؟ قال: الله، قال: فمن صرف عنك السوء والفحشاء؟ قال: الله، قال: فكيف استشفعت بآدمي مثلك؟ فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي: وهذه السبع سوى الخمسة التي قبل ذلك.**

**يعلق شيخنا الشيخ أبو شهبة فيقول: بعض المفسرين لا يكتفي بالسبع، بل يضم إليها خمسًا قبل ذلك، ولا أدري ما مستنده في هذا، وظاهر القرآن لا يشهد له؛ فلو كان كذلك لصرح به القرآن أو لأشار إليه؛ فلما انقضت السنين جاءه الفرج من الله؛ فرأى الملك ما رأى من الرؤيا العجيبة، وعجز الملأ عن تفسيره؛ تذكر الساقي يوسف وصِدْق تعبيره للرؤى فذهب إلى يوسف، فعبرها له خير تعبير فكان ذلك سبب نجاته من السجن، وقول امرأة العزيز:** {ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ} **وأغلب الظن عندي أنّ هذا من الإسرائيليات، هذا كلام علمائن؛ يقول الدكتور محمد أبو شهبة: وهذا من الإسرائيليات؛ فقد صورت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله؛ لأجل الكلمة التي قالها، مع أنه # لم يقل هجرًا ولا منكرًا؛ فالأخذ في أسباب النجاة العادية، وفي أسباب إظهار البراءة والحق لا ينافي قط التوكل على الله -تعالى- والبلاء للأنبياء ليس عقوبة، وإنما هو لرفع درجاتهم؛ وليكونوا أسوة وقدوة لغيرهم في باب الابتلاء.**

**وفي الحديث الصحيح عن النبي : ((أشد الناس بلاء الأنبياء، فالأمثل فالأمثل))، وقد روى أبن جرير هاهنا حديثًا مرفوعًا؛ فقال: حَدّثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن إبراهيم ابن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا، قال: قال النبي : "لو لم يقل -يعني: يوسف- الكلمة التي قالها ما لبث في السجن طول ما لبث؛ حيث يبتغي الفرج من عند غير الله" ولو أن هذا الحديث كان صحيحًا أو حسنًا؛ لكان للمتمسكين بمثل هذه الإسرائيليات التي أظهرت سيدنا يوسف بمظهر الرجل المذنب المدان وجهة؛ ولكن الحديث شديد الضعف، كما قال علماؤنا: لا يجوز الاحتجاج به أبدًا، وهذا قول شيخنا الدكتور محمد أبي شهبة.**

**قال الإمام الحافظ الناقد ابن كثير: وهذا الحديث ضعيف جدًّ؛ أي لا يحتج به، لا في الأحكام ولا في الفضائل؛ فما بالك في مثل هذا؛ لأن سيفان بن وكيع الراوي عنه ابن جرير ضعيف، وإبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضًا، وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلً؛ روي الحديث مرسلًا عن كل منهما، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل، لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم، طبعًا لا يحتج به.**

**وقد تكلف بعض المفسرين بالإجابة عما يدل عليه هذا الحديث وحاله كما سمعت، بل تكلف بعضهم؛ فجعل الضمير فيه** {ﯜ}، **جعل الضمير ليوسف وهو غير صحيح، والذي يجب أن نعتقده أن يوسف # مكث في السجن كما قال الله -تعالى- بضع سنين، وكلمه البضع من الثلاث إلى التسع أو إلى العشرة بغير تحديد بالمدة؛ فجائز أن تكون سبعة، وجائز أن تكون تسعًا، وجائز أن تكون خمسًا، ما دام ليس هناك نقل صحيح عن المعصوم  وكذلك نعتقد أنه لم يكن السجن عقوبة على كلمة، وإنما هو بلاء ورفعة درجة، ثم كيف يتفق هذا الحديث الضعيف، وما روي عن النبي  في (الصحيحين)، عن أبي هريرة > قال: قال رسول الله : ((ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي)) وفى لفظ للأمام أحمد: ((لو كنت أنا لأسرعت الإجابة، وما ابتغيت العذر)).**

**المصادر والمراجع**

1. **المحمدي عبد الرحمن، (الدخيل في التفسير) ، القاهرة، جامعة الأزهر، مطبعة حسان، 2009م.**
2. **الذهبي، محمد حسين الذهبي، (التفسير والمفسرون) ، طبعة دار الأرقم، 1999م.**
3. **الذهبي، محمد حسين الذهبي، (الإسرائيليات في التفسير والحديث) ، طبعة مكتبة وهبة، 1990م.**
4. **شليوه، سمير شليوه، (الدخيل والإسرائيليات) ، القاهرة، جامعة الأزهر**
5. **رضوان، على حسن السيد رضوان، (الدخيل في التفسير) ، جامعة الأزهر، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية.**
6. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي) ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 20003م.**
7. **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (الملل والنحل) ، طبعة دار الفكر، 2001م.**
8. **محمد الخضر حسين، (البابية أو البهائية) ،مجمع البحوث الإسلامية**
9. **القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، (تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل) ، طبعة دار إحياء الكتب العربية، 1960م.**
10. **الشعراوي، فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، (معجزة القرآن) ، القاهرة، طبعة مكتبة أخبار اليوم، 1993م.**
11. **الشاطبي، إبراهيم بن موسى أبو إسحاق الشاطبي، (الموافقات في أصول الشريعة) ، دار الكتب العلمية، 1993م.**
12. **الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، تحقيق:محمد سيد كيلاني (المفردات في غريب القرآن) ، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي، 1961م.**